الدّمُ والماء

ـ ماذا تكتب تسخر من لغوك حتى الورقات
موطئة أبياتك .. موطوء مجد الابيات ..
في الساحة نحـــن ، فمن يسمع في الساحـــة
صوت الكلمات
ـ عذرا فأنا لا أملك الا هذي الابيات ..
أعزل ـ لم أتدرب ـ في ساح لا أعرف الا طعم القات
أتفرج ـ رغما عني ـ أتسكع ميت الخطوات
في شارعنا سبع حمامات خرساء ..
سبعة أطفال دون سماء ..
الصمت صليب من ذهب ..
رمح من قصب ..
سيف من خشب ..
وقتيل ينزف من جنبيه الماء
ماء .. ماء
موتك ماء ..
موتي ماء ..

نهوي في الظل بلا صوت ..
ندفن في الوحل بلا موت ..
نسقط لا في الساحة .. لا في الخندق ..
نقتل لا تحت البيرق ..
نعرى ونجوع ..
خيمتنا قبر دون شموع ..
نتسول في بغداد ، وفي بيروت وفي عمّان
باسمك يا وطني نبسط أيدينا في الحان ..
ويموت بلا اسم منا الالف ..
حتف الانف ..

* * *

لم نتعلم شيئا .. يا نجمتي الخضراء
مذ لفظتنا الصحراء ..
فلنتعلم كيف نموت ..
فلنتعلم كيف نموت ..

الموصل — **أرشد توفيق**

وعلى الضفة الاخرى ، جلست والـــدتي تمسح جراح أختي وحروقها بقطعة مبللة من قميص قديم .

لملمت أختي ـ حينما التقت عيوننا ـ ثوبها ، وغطت مـــا انكشف من صدرها ومددت أطرافه فوق ساقها ، فشعرت بالغربـــة والضياع ، ورفعت رأسي الى السماء . كانت نجمة الصبح كبيرة ، كبيرة ، متلألئة ووحيدة .

قالت أمي ، وهي تضـع التراب الاحمر فوق حروق أختي :

ـ تهدم بيت أبيك .

أجبتها ، وأنا أبلل قميصي الداخلي لامسح به ذراعي المجروحة :

ـ سأبنيه ، وسأعيش فيه ... معكم .

ونظرت الى المدينة . كانت هادئة تماما ، بلا صوت ، بـــلا حركة ، بلا لون . ما عدا بقايا من سحب بيضاء شفافة من الدخان ترتفع الى السماء .

ومن وراء الافق ، بدأت الشمس تخرج شيئا فشيئا ، حتى ظهرت كاملة في صفحة السماء ، وغمرت أشعتها الاشياء ، وصبغتها بلون وردي رائع ، فتراءت لي الانقاض ورودا ورياحين ، والخـرائب حدائـــق .

منذ زمن بعيد لم أرَ شروقا ، منذ زمـــن بعيد لم أر الشمس الا وقت غروبها ، باهتة ، صفراء ، تحتضر وتختفي شيئا فشيئـــا وراء الافق ، ويحل الظلام ، حيث كنت أعيش .

ما أوضح الفرق بين مولد الشمس واحتضارها !..

قلت لامي من غير أن أنظر اليها :

ـ ساعود .

ومشيت بين الانقاض أتأملها ، وأنقل بصري من الانقاض الى الايدي التي تعمل بجد ، الى السواعد التي تحمل بصبر ، الى الوجوه السمراء المغسولة بالعرق الذي يتقاطر من الجباه غزيرا ، لامعا تحت أشعة الشمس ، الى الافواه المطبقة بعناد ، الى الاقـدام الملتصقـة بثبات في الارض ، الى مواقع قدمي ، الـــى الشمس التـــي ترتفـع وترتفع بكبرياء ، فيزداد الوضوح ، ويزداد معه شعوري بالوجود .

وقفت على أنقاض منزلي ، ونظـــرت الى الطاولة الخضراء المحطمة ، الى الكؤوس المتناثرة ، الى الثياب التي كانت جميـلة ، وشعرت بالشماتة حينما وقع بصري على حطام الساعة الكبيرة التي لا تقدر الزمن ، وحملت من جوارها صورتي وتأملتها . الاطـــار الجميل لا يزال متماسكا ، الابتسامة الجامدة لم تتغير ، ورأيت شقا كبيـــرا في الجبهة أحدثه تحطم الزجاج . وفي قطعة من الزجاج ـ كـــانت لا تزال عالقة في اطار الصورة ـ رأيت نفسي ، رأيت صدري العـاري المغبر ، وجهي الذي فارقته ملامح الابتسام ، جبهتي التي تنضح عرقا غزيرا لامعا ، ذراعي المجروحة ، دمائي المختلطة بالعرق والتـــراب فوق ساعدي .

حطمت الاطار المزخرف ، وقذفت بقطعه الى الجهات الاربع ، ثم مزقت الصورة الباسمة ، ونثرت أجزاءها الصغيرة فوق الانقاض ، واستدرت ، ومشيت ـ بقدمين حافيتين ـ رافعا رأسي الى السماء ، محدقا في الشمس .

حلب — **مصطفى زيات**